تكلفه بالعمل بعد الخلق قاله مقاتل رحمه الله وقيل تكلفه ليكون
مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي وقوله فجعلناه سميعا بصيرا
والمعنى انا خلقناه في هذه الامشاج لا للعبث بل للابتلاء والامتحان
ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان
عن الفهم والتمييز لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة والمعنى جعلنا
له سمعا يسمع به الهدى وبصرا يبصر به الهدى كما قال تعالى حاكيا
عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وقد
يراد بالسميع المطيع كقوله سمعا وطاعة والبصير العالم يقال فلان
بصير في هذا الامر وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان
والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها **قوله**
انا هديناه السبيل اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال
والخير والشر ببعث الرسل فآمن او كفر وقال مجاهد السبيل هنا خروجه
من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي تهتدي اليها بطبعه وكمال عقله
فصل قال ابن الخطيب اخبر الله تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه
الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى والضلال قال والاية
تدل على ان العقل متأخر عن الحواس وهو كذلك ثم ينشأ منها علوما بديهية
صادقة اولية كعلمنا بان النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان
وان الكل اعظم من الجزء وهذه العلوم الاولية هي العقل وان الهدى
هذا يتعدى بنفسه وباللام **قوله** اما شاكرا نصب على الحال وفيه
وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلتا
حالتيه قال ابو البقاء وقيل هي حال مقدرة قال شهاب الدين لانه جعل
الهداية على الوقت البيان له في ذلك الوقت غير متصف باحد الصفتين
والثاني انه حال من السبيل على المجاز قال الزمخشري ويجوز ان يكونا
حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا
كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا
والعامة على كسر همزة اما وهي المراد فيه لا وتقدم خلاف النحويين
فيها ونقل مكي عن الكوفيين ان ههنا ان الشرطية زيدت بعدها ما ثم
قال لا تجيزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسماء الا ان يضمر
فعل نحو وان احد ولا يصح اضمار الفعل هنا لانه كان يلزم رفع شاكرا
وايضا لا دليل على الفعل انتهى قال شهاب الدين لا نسلم انه يلزم رفع
شاكرا مع اضمار الفعل ويمكن ان يضمر فعل ينصب شاكرا تقديره انا
خلقناه شاكرا فشكور واما خلقناه كافرا فكفور وقرا ابو السمال
وابو العجاج بفتحها وفيها وجهان احدهما انها العاطفة وانها لغة
بعضهم في الهمزة وانشدوا على ذلك

تلفحها اما شمال عرية ... واما صبا جنح العشي هبوب

بفتح الهمزة ويجوز مع فتح الهمزة ابدال ميمها الاولى يا قالوا ايما الى الجنة
ايما الى نار وحذف الواو بينهما والثاني انها اما التفصيلية وجوابها
مقدر قال الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا
واما كفورا فبسوء اختياره انتهى ولم يذكر غيره **فصل** قال ابن الخطيب
بعد حكايته ان شاكرا وكفورا حالان ان المعنى كلما يتعلق بهداية
الله وارشاده فقد تم حالتي الكفر والايمان قال وقيل انتصب شاكرا
وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا او كان كفورا وقيل معناه
انا هديناه السبيل ليكون اما شاكرا واما كفورا اي ليتميز شكره من كفره
وطاعته

وطاعته كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال القفال ومجاز
هذه الكلمة على هذا التاويل كقولك قد نصحت لك ان شئت فاقبل
وان شئت فاترك فتحذف الفا وقد يحتمل ان يكون ذلك على جهة الوعيد
اي انا هديناه السبيل فان شاء فليشكر وان شاء فليكفر وقيل حالان
من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا
وصف السبيل بالشكر والكفر مجازا قال ابن الخطيب وهذه الاقوال
لائقة بمذهب المعتزلة وقيل قول خامس لمذهب اهل السنة واختاره
الفراء وهو ان يكون اما في هذه الاية كاما في قوله تعالى اما يعذبهم واما
يتوب عليهم والتقدير انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا
وتؤيده قراءة ابن السمال المتقدمة قالت المعتزلة هذا التاويل
باطل لتهديده الكفار بعد هذه الاية بقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين
سلاسل واغلالا وسعيرا ولو كان كفر الكافر من الله وبخلقه لما جاز
منه ان يهدده عليه ولما بطل هذا التاويل ثبت ان الحق هو التاويل
الاول وهو انه تعالى هدى جميع المكلفين سواء آمن او كفر وبهذا بطل
قول المجبرة واجيب بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا يؤمن ثم كلفه
بان يؤمن فقد كلفه الجمع بين العلم بعدم الايمان ووجود الايمان وهذا
تكليف بالجمع بين المتنافيين فان لم يصر هذا عذرا في سقوط التهديد
والوعيد فان يثبت هذا ظهر ان التاويل هو الحق وبطل تاويل المعتزلة
فصل قال القرطبي جمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور
والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا للمبالغة في الشكر واثباتا
لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف
عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان
اليه حكاه الماوردي **قوله** انا اعتدنا للكافرين سلاسل قرا نافع
والكسائي وهشام وابو بكر بتنوين سلاسلا والباقون بغير تنوين
ووقف هؤلاء وحمزة وقنبل عليه بالالف بلا خلاف وابن ذكوان والبزي
وحفص بالالف وبدونها يعني بلا ... والباقون وقفوا بلا الف
بلا خلاف فقد تحصل من هذا ان القراء على اربع مراتب منهم من ينونه وصلا
ويقف بالالف وقفا بلا خلاف وهم حمزة وقنبل ومنهم من لم ينون ويقف
بالالف بلا خلاف وهو ابو عمرو وحده ومنهم من لم ينون ويقف بالالف
تارة وبدونها اخرى وهم ابن ذكوان وحفص والبزي فهذا ضبط ذلك
فاما التنوين في سلاسل فذكروا له اوجها منها انه قصد بذلك التناسب
لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي وغيره من
اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف
الا افعل منك قال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف
لان الاصل في الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها وان هذا الجمع
قد يجمع وان كان قليلا قالوا الصواحب صواحبات وفي الحديث
انكن لصواحبات يوسف وقال قد جرت الطير ايامنين قيل جمع ايامن
من جمع تصحيح المذكر وانشدوا

واذا الرجال راوا يزيد رايتهم ... خضع الرقاب نواكس الابصار

بكسر السين من نواكس وبعدها لا يظهر حذف الا لالتقاء الساكنين
وهذا على رواية كسر السين والاشهر فيها نصب السين فلما جمع شابه
المفردات فانصرف ومنها انه مرسوم في امام الحجاز والكوفة بالالف
رواه ابو عبيد ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف

King Saud University
Copyright © King Saud University